سلسلة الشروحات على مؤلفات سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٥)

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

لكتاب

الأصول الثلاثة

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الخيرية



مدار الوطن للنشر

ح مدار الوطن للنشر، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن باز، عبد العزيز بن عبد الله

شرح سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله لكتاب الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب./

عبد العزيز بن عبد الله بن باز.- الرياض، ١٤٣٦هـ.

... ص؛ .... سم.

ردمك: ٤ - ٧ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٧٠٢

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٧٠٢

ردمك: ٤-٧-٩٠٥٩٩-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ/٢٠١٤م

طبع بإذن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

ووزارة الثقافة الإعلام برقم ٢٠٧٥ وتاريخ: ١٤٣٠/٠٦/٠٧هـ



المملكة العربية السعودية - الرياض

ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

فرع السويدي - ت: ١١٤٢٦٧١٧٧ - ف: ١١٤٢٦٧٣٧٧

K.S.A / Riyadh 11312 P.O.Box: 245760

Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096

Swaidi / Tel.:114267177 Fax:114267377

الموقع الإلكتروني | www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني | pop@madaralwatan.com

madaralwatan@hotmail.com

مقدمة اللَّجنة العلميَّة

الحمد لِلَّهِ وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على رسُولِ اللَّهِ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه أمَّا بعد:

فيطيبُ لـ«مؤسسة عبدالعزيز ابن باز الخيرية» أن تضع بين يديِّ القارئ الكريم شرح سماحة الشَّيخ/عبدالعزيز ابن باز رحمه الله لكتاب ثلاثة الأصول الَّذي ألَّفه الإمام المجدِّد الشيخ/محمَّد بن عبدالوهَّاب رحمه الله وذلك ضمن إصداراتها لسلسلة شروح وتعليقات سماحة الشيخ رحمه الله على كتب أهل العلم.

وكتاب ثلاثة الأصول هو كتاب موجز اللَّفظ عظيم النفع، عرَّف فيه المؤلِّف العبد المسلم بربِّه، ودينه، ونبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام مُدعمًا أقواله بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وقد اعتنى أهل العلم بهذا الكتاب فشرحوه وبيَّنوا معانيه، وممَّن اعتنى به كثيرًا سماحة الشَّيخ/عبدالعزيز ابن باز رحمه الله حيث شرحه مرارًا في دروسه العلميَّة في المساجد فجلَّا معانيه، وبيَّن مراميه بألفاظٍ وعباراتٍ واضحة، وأسلوب سهل؛ لذا رأت المؤسسة ضرورة إعادة طبع هذا الشَّرح حتَّى يعم نفعه جميع المسلمين.

علمًا بأنَّ هذا الشَّرح هو تفريغ من أشرطة تسجيل صوتي لسماحته رحمه الله وكان قد فرغ في حياة الشَّيخ رحمه الله وعُرض عليه، فأجازه وأذن في طبعه لابنه الشَّيخ/أحمد بن عبدالعزيز بن باز، ولفضيلة الشيخ/علي بن صالح بن عبدالهادي المري - وفقهم اللَّهُ لكل خير - .

وهذه هي الطَّبعة الثَّانية منه محقَّقةً منقَّحةً مستدركين فيها ما وقع في النَّسخة الأولى من ملحوظات مطبعيَّة وإملائيَّة، مع الالتزام برسم المصحف في إيراد الآيات، والعناية بحسن الإخراج والتَّخريج.

نسألُ اللَّهَ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي كل من سعى لإخراجه خير الجزاء وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ/عبدالعزيز بن عبداللَّه بن محمد آل الشيخ حفظه اللَّه، وفريق العمل بالرئاسة على ما يبذلوه من جهد في مراجعة هذه المادة ومطابقتها بأصولها، كما نسأله أن يجعله من العلم النافع الَّذي يجري أجره على شيخنا في قبره، وأن يُضاعف له المثوبة والأجر، ويُعلي منزلته فِي الآخرة، ويجمعنا به فِي الفردوس الأعلى، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللَّجنة العلميَّة

بمؤسسة عبدالعزيز ابن باز الخيرية

تعريف الشَّارح بثلاثة الأصول ومؤلِّفها

هذه رسالة مُهمَّة في العقيدة أَلَّفَها الشَّيخُ أبو عبدِاللهِ الإمام محمد بن عبدالوهَّاب بن سليمان بن عليٍّ التَّميميُّ الحنبليُّ الإمام المشهور المجدِّد لما انْدَرَسَ من معالم الإسلام في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشر رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرم مثواه.

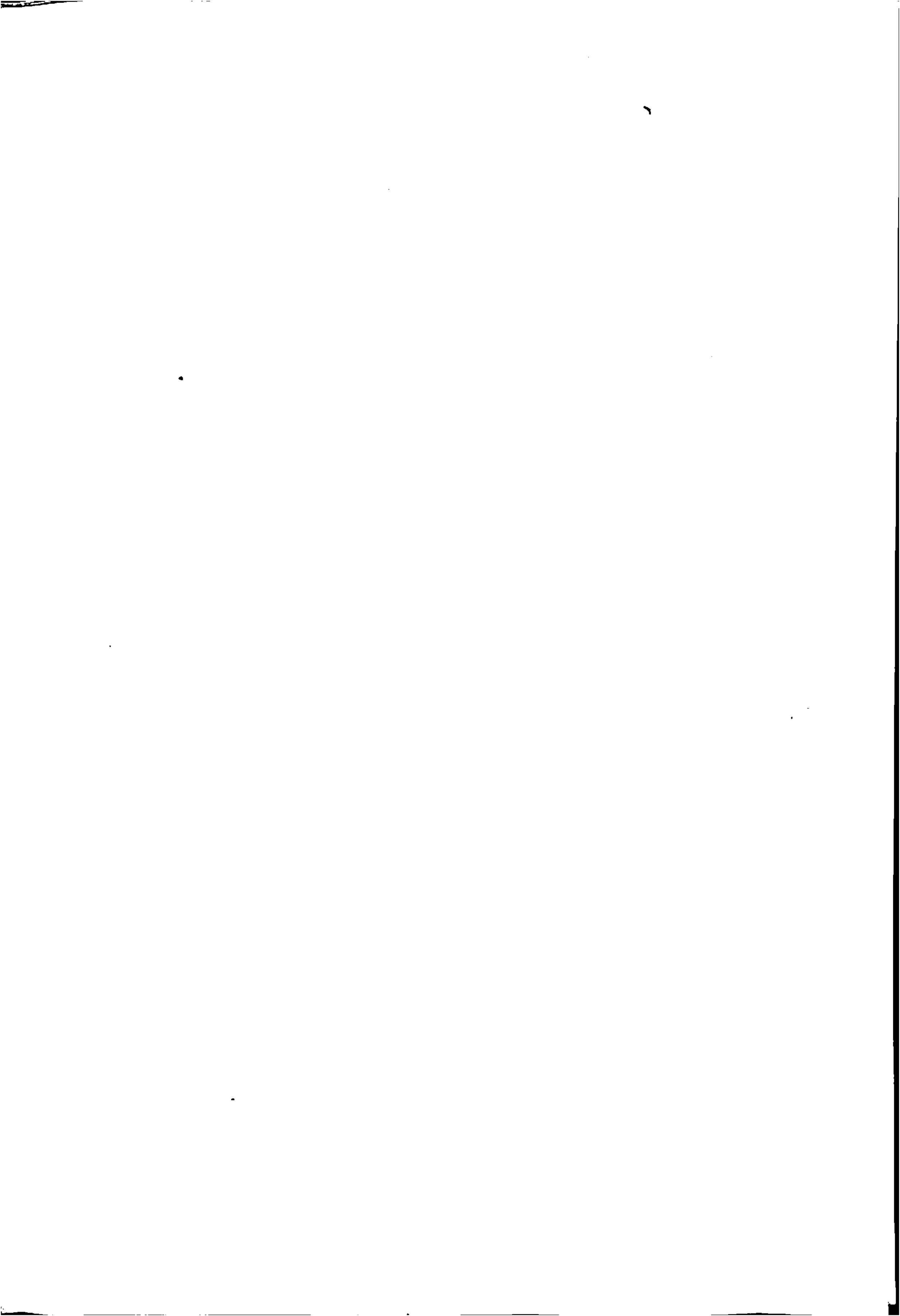
وقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يُلقِّنُ الطَّلبة والعامَّة هذه الأصول؛ ليدرسوها ويحفظوها، ولتستقرَّ في قلوبهم؛ لكونها قاعدة في العقيدة.

وقد كانت وفاته سنة ستٍّ ومائتين وألفٍ من الهجرة، وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة، فقد عُمِّر إحدى وتسعين سنةً، وكان عُمرًا مَليئًا بالخير والدَّعوة إلى اللَّهِ، والتَّعليم والإرشاد، والصَّبر على ذلك.

وقد أنقذ اللَّهُ به العباد والبلاد في زمانه في هذه الجزيرة، وانتشرت دعوته بعد ذلك في غير الجزيرة من الشَّام، ومصر، والعراق، والهند وغيرها، بسبب الدُّعاة الَّذين حملوا عنه العلم، وانتقلوا إلى تلك البلدان والدُّولِ.

وبسبب المكاتيب والكتب الَّتي انتشرت منه رَحِمَهُ اللَّهُ ومن أتباعه وأنصاره والدُّعاة التَّابعين له، في الدَّعوة إلى اللَّهِ.

❁ ❁ ❁



شرح مقدِّمة المؤلِّف

«اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبعِ مَسَائِلَ: الأُولَى: العِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ، الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ، الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: ١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ:رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ:رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى[١]: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله

هذه المسائلُ: يجبُ أن يتعلَّمها المؤمنُ والمؤمنةُ الصِّغارُ والكبارُ:

الأولى: العلم: فعلى الإنسان: أن يتعلَّمَ ويتبصَّرَ حتَّى يكون على بيِّنةٍ، ويَعرفَ دينَ اللَّهِ الَّذي خُلِقَ مِن أجلهِ، وهذا العلم هو: معرفةُ اللَّهِ، ومعرفةُ نبيِّه، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلَّة، فهذا أوَّلُ شيءٍ: أن يتبصَّر العبدُ: مَنْ هو ربُّهُ؟.

فيعرف أنَّ ربَّهُ الخالق الَّذي خلقهُ ورزقهُ، وأسدى إليه النِّعمَ، وخلق مَنْ قَبلهُ، ويخلقُ مَنْ بعدَهُ، هو ربُّ العالمين، وأنَّهُ الإله الحقُّ

(١) ستأتي ترجمته، وترجمة البخاري في كلام الشارح عند شرح كلامهما رحمهما اللَّه تعالى.

المعبود، الَّذي لا يستحقُّ العبادةَ سواهُ أبدًا، لا ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا جنٌّ، ولا إنسٌ، ولا صنمٌ، ولا غير ذلك؛ بل العبادةُ حقٌّ لِلَّه وحده، فهو المعبود بحقٍّ - سُبحانه وتعالى - .

وهو المستحقُّ بأن يُعبدَ، وهو ربُّ العالمينَ، وهو ربُّكَ وخالقُكَ وإلهُكَ الحقُّ سُبحانه وتعالى، فتعرف هذه المسألة الأولى، وهي: أن تعرف ربَّكَ، ونبيَّكَ، ودينَكَ بالأدلَّةِ، قال اللَّهُ وقال الرَّسُول، لا بالرَّأي، ولا بقول فلان؛ بل بالأدلَّةِ من الآيات والأحاديث، وذلك هو دينُ الإسلام الَّذي أنت مأمور بالدُّخولِ فيهِ، والالتزام به.

وهو عبادةُ اللَّهِ الَّذي قال فيها سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] هذه العبادةُ: هي الإسلام، وهي طاعةُ اللَّه ورسولِهِ، والقيامُ بأمر اللَّهِ، وتركُ مَحارمِهِ.

هذه هي العبادةُ الَّتي خُلق النَّاسُ لأجلها، وأمر اللَّهُ بها النَّاس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] يعني: اعبدُوهُ بطاعَةِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهِيهِ، وإسلام الوجهِ لَهُ، وتخصيصه بالعبادة سبحانه وتعالى.

ومن ذلك[1] أن تعرفَ نبيَّكَ، وهو: محمد بن عبدِاللَّهِ بن عبدالمطَّلب الهاشميُّ القرشيُّ المكِّيُّ، ثُمَّ المدني عليه الصَّلاة والسَّلام، فتعرفَ أَنَّهُ نَبيُّكَ، وأنَّ اللَّهَ أرسلَهُ إليكَ بدين الحقِّ يُعلِّمكَ ويُرشِّدكَ، فتؤمن بأنَّهُ رسولُ اللَّهِ حقًّا، وأنَّ اللَّهَ أرسله للعالمينَ جميعًا من الجنِّ والإنس، وأنَّ الواجبَ اتِّباعُهُ والسَّيرُ على منهاجه،- وسيأتي تفاصيل هذا في الأصل الثَّالث من هذه الأصول الثَّلاثةِ - .

(١) يعني: من العلم الَّذي ينبغي أن يتعلَّمه المؤمن والمؤمنة.

الثَّانية العملُ بهِ: أي: أنْ تعمل بهذا الدِّين من صلاة، وصوم، وجهاد، وحجٍّ، وإيمانَ وتقوى، فتعملَ بالإسلامِ؛ لأنَّكَ مخلوقٌ للَّهِ، مخلوقٌ لعبادةِ اللَّهِ، فَعليك أن تعلم - دينَ اللَّهِ - وتعملَ بِهِ، فَتعبُدَ اللَّهَ وحده، وتُقيم الصَّلاة، وتؤدِّي الزَّكاة، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيت، وتؤمنَ باللَّهِ وملائكتِهِ، ورسلِهِ وكُتبِهِ، وباليومِ الآخرِ، وبالقدَرِ خيره وشرِّهِ، وتأمرَ بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ، وتبرَّ والديكَ، وتصلَ الأرحامَ، إلى غير ذلك، فتعملَ بما أمرك اللَّهُ بِهِ، وتنتهي عمَّا نهاكَ اللَّه عنهُ وتترك المعاصيَ الَّتي أنت منهيٌّ عنها، وتفعلَ الواجباتِ الَّتي أنت مأمورٌ بِهَا.

الثَّالثةُ الدَّعوةُ إليه: أي: أن تدعو إلى هذا الدِّين؛ فتنصحَ النَّاسَ بأنَّ يستقيموا عليه وتُرشدهم، وتَأمرهم بالمعرُوفِ، وتنهاهم عَنِ المنكر، هذه هي الدَّعوةُ إلى دينِ الإسلامِ، فعلى كُلُّ مسلم أن يدعوَ إلى اللَّهِ حسب طاقته وعلمه، فَكُلُّ واحدٍ - رجلٍ أو امرأةٍ - عليه قِسطٌ من هذا الواجبِ، من التَّبليغ والدَّعوة والإرشاد والنَّصيحةِ.

وأن يدعوَ إلى توحيدِ اللَّهِ، وإلى الصَّلاةِ والمُحافظَةِ عليها، وإلى الزَّكاةِ وأدائها، وإلى صَوم رمضانَ، وإلى حجِّ البيت مع الاستطاعة، وإلى برِّ الوالديْنِ، وصلة الأرحامِ، وترك المعاصِي كُلِّهَا.

الرَّابعةُ الصَّبرُ على الأذى فيه: أي: يَصبرُ على الأذى في هذه الأشياء، فقد يحصلُ للإنسانِ أذى، قد يتعبُ من المدعُو أو غيرِهِ من أهلِهِ أو غيرهم، فالواجبُ الصَّبر واحتسابُ الأجرِ عند اللَّهِ.

فالمؤمنُ يَصبرُ على إيمانِهِ باللَّهِ، وَيَصبرُ على العملِ بما أوجبَ اللَّهُ عليه، وترك ما حرَّمَ اللَّهُ عليه، وَيَصبرُ في الدَّعوَةِ إلى اللَّهِ، والتَّعليم والأمرُ بالمعرُوفِ والنَّهي عَنِ المنكَرِ.

فلا بُدَّ من الصَّبر في هذه الأمور كُلِّها، فالدِّين كُلُّه يحتاجُ إلى صبرٍ، صبرٍ على دعوة اللَّهِ وحدَهُ، وصبرٍ على أن تصلِّي، وتزكِّي، وتصومَ، وتحجَّ، وتأمرَ بالمعرُوفِ وتنهى عَنِ المنكَرِ، وصبرٍ عَنِ المَحَارم والسَّيِّئاتِ، فتحذَرَ مِنْ قُربهَا، فالإنسانُ إذا لم يصبرْ وقع فيما حرَّم اللَّهُ عليه، أو تركَ ما أوجبَ اللَّهُ عليه؛ ولهذا قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقال سُبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النَّحل: ١٢٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] يعني: اصبِرُوا على طاعَةِ اللَّهِ، وتركَ معصيتِهِ، واحذرُوا مخالفةَ أمرِهِ وارتكابَ نَهيِهِ.

والدَّليلُ على هذه المسائل الأربع، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العَصر: ١-٣] ففي هذه السُّورةِ العَظيمةِ، الحُجَّةُ؛ لهذه الأُمُورِ، وهذا هو الدِّينُ كُلُّه، فالدِّينُ كُلُّهُ إيمانٌ وعملٌ ودعوةٌ وصبرٌ.

إيمانٌ بِالحقِّ، وعملٌ به، ودعوةٌ إليهِ، وصَبرٌ على الأَذى فِيهِ، والنَّاسُ كُلُّهُم في خسارةٍ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾الآية [العَصر: ٣] أي: الَّذين استثناهم اللَّهُ، فجميعُ بني آدمَ في خسرانٍ، وعلى طريق الهلاكِ إلَّا الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ، وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصَّبرِ.

فهؤلاء هُمُ الرَّابحُونَ، وهُمُ السُّعداءُ، وقد أقسم اللَّه على هذا بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ وهو الصَّادقُ سُبحانه وتعالى، وإنْ لم يقسمْ؛ ولكن أقسم لتأكيد المقام.

واللَّه سبحانه وتعالى يُقسم بما شَاءَ من خَلقِهِ، فَلا أحدَ يتحجَّرُ[(١)] عليه، فأقسم بالسَّماء ذاتِ البرُوجِ، وأقسمَ بالسَّماء وَالطَّارقِ، وبالضُّحى، وبالشَّمسِ وضحاها، وباللَّيل إذا يغشى، وبالنَّازعاتِ وغير ذلك؛ لأنَّ المخلوقاتِ تدلُّ على عظمتِهِ، وعلى أنَّهُ سُبحَانَهُ هو المُستحقُّ للعبادةِ، ـ وأقسمَ بهَا ـ لبيانِ عِظم شأنِ هذهِ المخلوقات الَّتي تدلُّ على وحدانيَّته، وأنَّهُ المستحقُّ للعبادِةِ وحدَهُ.

وأمَّا المخلوقُ فليس له أن يقسمَ إلَّا بربِّه، فلا يُقسمَ ولا يحلفَ إلَّا باللَّهِ، ولا يجوزُ له أن يحلِفَ بالأنبياءِ، ولا بالأصنَامِ، ولا بالصَّالحينَ، ولا بالأمانَةِ، ولا بالكعَبةِ، ولا بغيرهَا.

هذا هو الواجب على المسلم؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح[(٢)].

---

(١) يتحجر من الحجر، وهو: المنع، حجره، بمعنى: منعه من الشيء، كما في القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة: [حجر] باب الرَّاء، فصل الحاء (ص٣٤٨).

(٢) من حديث ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهما انظر المسند (١/ ٤٧، ٢/ ٣٤) الطبعة الأولى طبعة الميمنية، المعروفة بالطبعة الحجرية، وأخرجه عبد الرَّزاق في مصنفه في كتاب الأيمان والنذور، باب الأيمان ولا يحلف إلا باللَّهِ، برقم (١٥٩٢٦) (٨/ ٤٦٨) واللَّفظ لهما، كما أخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، برقم (٣٢٥١)، والترمذي في أبواب النذور والأيمان عن رسول ﷺ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم (١٥٣٥)، وعنده زيادة لفظ: «فَقَدْ كَفَرَ» في آخره، وقال: هذا حديث حسنٌ، وهذه الزيادة عند الحاكم أيضًا، والحديث صحيح، كما قال الشيخ، فقد صححه الحاكم في المستدرك، في كتاب الأيمان والنذور، برقم (٧٨١٤) ووافقه الذهبي على تصحيحه له، ينظر: التلخيص مع المستدرك (٤/ ٢٩٧).

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصمِتْ»(١).

فالواجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ الحذَرَ من الحلفِ بغيرِ اللَّهِ، وأن تكون أيمانهم كُلُّهَا باللَّهِ وحدَهُ سُبحانه وتعالى.

يقولُ الشَّافعيُّ رحمه الله هو الإمامُ المشهورُ، أحدُ العُلمَاءِ الكبارِ، وأحدُ الأئمةِ الأربعةِ، وهو: محمَّد بن إدريس الشَّافعيِّ المطلبيُّ، المولودُ سنَّة خمسين ومئة، وتوفِّيَ سنة أربع ومئتين هجرية.

يقول رحمه الله: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتْهُمْ»، وفي رواية: «لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتْهُمْ»(٢) أي: لو نظروا فيها وتأمَّلوا لكانت كافيةً في إلزامهم بالحقِّ، وقيامهم بما أوجبَ اللَّهُ عليهم، وترك ما حرَّمه عليهم؛ لأنَّ اللَّهَ بيَّنَ أنَّ الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ وتواصوا بالحقِّ، وتواصوا بالصَّبر هُمُ الرَّابحون، ومَنْ سواهم خاسرٌ.

وهذه حُجَّةٌ قائمةٌ على وجوبِ التَّواصي، والتَّناصح، والإيمانِ، والصَّبر، والصِّدق، وأنَّهُ لا طريق للسَّعادة والرِّبح إلَّا بهذه الصِّفات الأربع: إيمان صادق باللَّهِ ورسولهِ، وعملٍ صالحٍ، وتواصٍ بالحقِّ، وتواصٍ بالصَّبر.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما أخرجه البخاري في عدة مواضع في صحيحه منها في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم برقم (٦٦٤٦)، وأوَّلُها في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف برقم (٢٦٧٩)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير اللَّهِ تعالى برقم (١٦٤٦).

(٢) انظر: للمزيد من سيرته وترجمته سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٩) ترجمة رقم (١٥٣٩) طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

وقال البُخاريُّ رحمه الله: هو أبو عبداللَّهِ محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البُخَاريُّ، من بُخارى في الشَّرق الأقصى، ولد سنة أربع وتسعين ومئة في آخر القرن الثَّاني، ومات سنة ستٍّ وخمسين ومئتين من الهجرة في وسط القرن الثَّالث، كان عُمرُهُ اثنتين وستين سنة،ـ عند وفاته ـ وهو صاحب الصَّحيح، وله مؤلَّفاتٌ أخرى عظيمةٌ نافعةٌ رحمه الله [١].

يقول: في صحيحه[٢]، باب: العلمُ قَبلَ القولِ والعملِ؛ لقول اللَّهِ سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمَّد: ١٩].

فبدأ بالعلمِ قبلَ القولِ و العملِ، فالإنسانُ عليه أن يتعلَّم أولًا، ثُمَّ يعملَ، فيتعلَّم دينَهُ ويعملَ على بصيرةٍ، واللَّهُ أعلمُ.

❋ ❋ ❋

(١) انظر: للمزيد من ترجمته وسيرته سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٣) ترجمة رقم (٢١٣٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب العلم، الكتاب الثالث في الصحيح، الباب العاشر منه، مابين رقمي (٦٧ ـ ٦٨).

توطئة للأصل الأوَّل

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِلَ، وَالعَمَلَ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَن يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ، ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

هذه المسائلُ الثَّلاثُ من أهمِّ المسائلِ الَّتي تتعلَّق بالتَّوحيدِ وَحُقُوقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ.

اللَّهُ خلقَ الخلقَ ليعبدُوهُ، فلم يخلُقهم هملًا، ولا سُدًى، ولا عبثًا؛ لكنَّهُ خلَقهم لأمرٍ عظيمٍ، ولحكمةٍ عظيمةٍ، فيهَا سعادَتُهم، وفيهَا نجاتُهم،

وهي: أَن يعبدُوا اللَّهَ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذه العبادة أمرهم بها في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] وفي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وفي قوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] وفي قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وفي قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

في آياتٍ كثيرةٍ أمَرَهم فيها بالعبادَة، وهي توحيدُهُ جلَّ وعلا، وتخصيصه بالعبادَةِ: من دُعاءٍ، وخَوفٍ، ورَجاءٍ، وتوكُّلٍ، ورَغبةٍ، ورَهبةٍ، وصَلاةٍ، وصَومٍ، وغير ذلك.

فهو المستحقُّ للعبادَةِ جلَّ وعلا، دون كُلِّ ما سواهُ، ويدخلُ في ذلكَ، فِعلُ الأوامرِ، وتركِ النَّواهِي، فأداءُ الأوامِرِ الَّتي أمركَ اللَّهُ بها ورسولُهُ، وتركِ النَّواهِي الَّتي نهَاك اللَّهُ عنها ورسولُهُ، كُلُّ هذا داخلٌ في العبادَةِ، وهذا هو الإسلامُ، وهو الدِّينُ، وهو الإيمانُ وهو الهُدَى.

فلا تُصَلِّ إلَّا لِلَّهِ، ولا تركعْ إلَّا له، ولا تذبحْ إلَّا له، ولا تدعُ إلَّا إيَّاهُ، ولا تتوكَّلْ إلَّا عليه، إلى غير هذا مِنَ العِبَادَاتِ.

أمَّا الاستعانَةُ بحاضرٍ قادرٍ فِيما يَقدِرُ عليه، فهذا ليس بعبادةٍ، كما قال سُبحانَه في قصَّةِ موسى ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] فَإنَّ مُوسى قادرٌ على أن يُغيثه.

أمَّا دُعاءُ المَيتِ، ودُعاءُ الغَائبِ الَّذي لا يَسْمَعُ كلامَك، أو دُعاءُ الصَّنمِ، أو الجِنِّ، أو الأشجارِ ونحوهَا، فهذا شِرْكُ المشركين، وهو الشِّركُ الأكبرُ الَّذِي قال اللَّهُ فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] فاللَّهُ خلقنا ورزقنا، ولم يَتْرُكْنَا هملًا؛ بل أمرنا بتوحيده، وطاعته، وترك معصيته.

وأرسلَ إلينا رسولًا هو: محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بكلِّ ما تقدَّم، وأنزلَ عليه القرآنَ بذلك؛ لِنَسْتَقِيمَ على ما فيه من الهُدَى، ونَعْمَلَ بما فيه من الأوامر، ونَنْتَهِي عمَّا فيه من النَّواهِي، على يدِ مُحمَّدٍ رسُولِ اللَّهِ ﷺ خاتَم النَّبِيِّين والمُرسَلِينَ، جاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهم، فهو خَاتَمُ الأنبياءِ وإمامُهُم وأفضلُهُم.

فمن أطاعَ هذا الرَّسُول واستقام على دينهِ فله الجنَّةُ، ومَنْ عصى هذا الرَّسولَ، وحَادَ عن دِينِهِ، فله النَّارُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ١٥] يعني: بأعمالِكُم - التي شاهدها -: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ فهو مرسلٌ عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦] أي: أخذنا فرعونَ أخذًا وبيلًا في الدُّنيا بالغرقِ، وفي الآخرةِ بالنَّار.

والمسألةُ الثَّانيةُ: إنَّما هي تحقيقٌ للمسألةِ الأولى - وهي -: أن تَعْلَمَ أنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى أن يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ في عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُحيي المُميت، الَّذي خَلقكَ، وأعطاكَ النِّعَمَ، فهو سُبحانَه لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ من الخلق؛ لا نبيٌّ مرسلٌ، ولا ملكٌ مقرَّبٌ، ولا غيرهما؛ لأنَّ العبادَةَ حقٌّ لِلَّهِ وحدَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وكما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

لأنَّ الإشراكَ به هو أعظمُ الذُّنوبِ، وقد جاء في الآيات الكثيرةِ، الأمرُ بإخلاص العبادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، والنَّهي عن عبادَةِ ما سِواهُ، فتجمع بين أمرين، فتؤمن بأنَّ اللَّهَ هو الخَالقُ الرَّازقُ المُحيي المُميتُ، وتؤمنُ بأنَّه سُبحانَهُ هو المُستحقُّ لِلعَبادَةِ مِنْ ذَبحٍ، وصَلَاةٍ، وصومٍ وغير ذلك مِنَ العبادَاتِ، كما قال سُبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وهذه المسألةُ الثَّالثةُ: وهي مِن أهمِّ الوَاجبَاتِ، أن يعلم كل مسلم ومسلمة أنَّهُ لا يجوز له أن يوالي المشركين، أو يُحبَّهم، فكلُّ من أطاعَ اللَّهُ ورسولَه ووحَّد اللَّهَ جلَّ وعلا يلزمه أن يُعادي الكُفَّارَ، ويُبغضَهُم في اللَّهِ، ولا يجوز لَهُ موالاتُهُم ومحبَّتُهُم، لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ [المجَادلة: ٢٢] أي: لَا تَجِدُ يَا مُحَمَّدُ قومًا أهلَ إيمَانٍ صادقٍ: ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجَادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ [المَائدة: ٥١] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [المُمتَحنَة: ٤].

فَلا بُدَّ من البَغضاءِ والعدَاوَةِ لأعداءِ اللَّهِ، وَمَودَّةِ المؤمنينَ ومحبَّتِهِم، هكذا المؤمنُ يُحِبُّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَيَتَعَاوَنُ معهم في الخيرِ، ويَكرَهُ أعداءَ اللَّهِ، ويُبغضُهُم، ويُعادِيهم في اللَّهِ، وإن دَعاهُمْ إلى اللَّهِ، وإن أقرَّهُمْ في بلادِهِ وأخذ منهم الجزيَةَ، كوليِّ الأمرِ؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ

أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس[١]؛ وأخذ الجزية منهم فيها عونٌ للمسلمينَ، لَا مَحَبَّةٌ لَهُمْ، وتؤخذ الجزية منهم إذا لم يدخلوا في الإسلام، ولا يُقاتلون؛ بل يُقَرُّونَ مع بُغضِهم في اللهِ، وعدمِ مُوالاتِهم.

فإنْ أَبَوْا الإسلامَ والجزيةَ قُوتِلُوا مع القدرةِ، وهذا خاصٌّ بأهلِ الكتابِ والمجوسِ، أمَّا بقيةُ الكفارِ، فَلَا تُقبَلُ منهم الجزيةُ؛ بل يُقَاتَلُونَ حَتى يَدخُلُوا في الإسلامِ، كَالوَثنيِّينَ والشُّيوعيِّينَ وغيرهم من أصنافِ الكفرةِ مَعَ الْقُدرَةِ عَلَى ذَلِكَ؛ لقولِ اللهِ سُبحَانَهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] وقوله سبحانه: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ.

وَمُرَادُهُ سُبحَانَهُ، مع القدرة على ذلك لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾

---

(١) اليهود والنصارى أهل الكتاب هم: وتؤخذ منهم الجزية لقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وأمَّا المجوس فلقوله ﷺ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ» أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الصدقة، [٢٤] باب جزية أهل الكتاب والمجوس برقم (٤١) في الكتاب المذكور، ومن طريقه أخرجه الشافعي في مسنده (١/ ٢٠٩)، ومن طريق الشافعي البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٨٩)، كما أخرجه عبدالرزاق في مصنفه في كتاب أهل الكتاب، باب أخذ الجزية من اليهود برقم (١٠٠٢٥) (٦/ ٦٨)، والبزار في مسنده المعروف بالبحر الزخار في مسند عبدالرحمن ابن عوف رضي الله عنه برقم (١٠٥٦) (٣/ ٢٦٤).

[التغابن: ١٦] ولأنَّهُ ﷺ لم يقاتل المشركين حتى قوي على ذلك. ثم قال تعالى في آخر الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي: قواهم بقوة منه.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ[1] مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِي، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - » جمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين التعليم والدعاءِ «أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وهي: أَنْ تَعْبُدَ الله مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» وهي التي قال الله فيها لنبيِّه: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النحل: ١٢٣].

---

(١) الحنيف: هو المائل إلى الإسلام الثابت عليه المستقيم فيه، والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم عليه السلام، وسمي إبراهيم حنيفًا لميله عن الباطل إلى الحقِ؛ لأنَّهُ حنف عمَّا كان يعبد أبوه وقومه من الآلهة إلى عبادة الله وحده، أي عدل عن ذلك ومال لعبادة الواحد الدَّيان، وأصل الحنف ميل من إبهامي القدمين كل واحد منهما على الأخرى. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير بقديم علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الأثري مادة [حنف] باب الحاء مع النون ص ٢٣٦. طبعة دار ابن الجوزي بالرياض عام ١٤٢٥هـ.

فالحنيفية هي: الملة التي فيها الإخلاص لله وموالاته، وترك الإشراك به سبحانه، والحنيفُ: هو الذي أقبلَ على الله، وأعرض عما سواه، وأخلص له العبادة، كإبراهيم وأتباعه، وهكذا الأنبياء وأتباعهم.

قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا» فَأَمَرَهُمْ بالتوحيد والإخلاص، وخلقهم ليعبدوه، وأمرهم بأنْ يَعبدوه وحده في صلاتهم، وصومهم، ودعائهم، وخوفهم، ورجائهم، وذبحهم، ونذرهم، وغير ذلك من أنواع العبادة، كُلُّه للَّه، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] هذه العبادة هي التي خلق لها الناس، خلق لها الثقلان، وهي: توحيد اللَّه، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، يعني: يوحدوني في العبادة، ويخصوني بها، بفعل الأوامر، وترك النواهي إلى غير ذلك من الآيات.

وأعظم ما أمر اللَّه به التوحيد وهو: إفراد اللَّه بالعبادة، فتقصده بالعبادة دون كل من سواه، فلا تعبد معه صنمًا، ولا نبيًا، ولا ملكًا، ولا حجرًا، ولا جنيًا، ولا غير ذلك.

وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو: دعوة غيره معه، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وفي الصحيحين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ، قِيلَ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قِيلَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»[١] فبيَّنَ ﷺ أَنَّ الشِّركَ أعظم الذنوب وأشدها وأخطرها.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلنا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ» الحديث، متفق عليه[٢].

فالتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، والشرك: هو دعوة غير الله مع الله، تدعوه، أو تخافه، أو ترجوه، أو تذبح له، أو تنذر له، أو غير ذلك من أنواع العبادة.

هذا هو الشرك الأكبر، سواء كان المدعو نبيًا، أو ملكًا أو جنيًا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو غير ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] ((فشيئًا)) نكرة في سياق النهي، فتعم كل شيء، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] فأعظم ما أمر الله به التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى الله عنه، هو الشرك بالله عزَّ وجلَّ كما تقدَّم.

ولهذا أكثر سبحانه وتعالى في القرآن من الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

---

(١) متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب التفسير، من سورة البقرة، في باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] برقم(٤٤٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده برقم (٨٦).

(٢) وتمامه: «وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وقولُ الزّور، وشهادة الزور» واللفظ للبخاري، أخرجاه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه البخاري في عدة مواضع منها: في كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر برقم (٥٩٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٧).

بيان مجمل بالثلاثة الأصول

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ التي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، هُوَ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هَذِهِ الأُصُولُ الثلاثة التي تَجْمَعُ الدِّينَ كُلَّهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وهي التي يُسْأَلُ عَنْهَا العبدُ فِي قَبرِهِ.

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنعمتِهِ، وهو معبودي، ليس لِي معبودٌ سِوَاه، هذا ربّ الجميعِ، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢].

والعالَمُونَ: جميعُ المخلوقات، كلُّهم عالَمُون ـ الجنُّ والإنسُ والبهائمُ، والجبالُ والأشجارُ ـ كلُّها عالمٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعرَاف: ٥٤] فَهُوَ رَبُّ الجميع، له الخلقُ وله الأمرُ، وهو المستحقُّ بأنْ يُعبَدَ؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] وهو معبودي، ليس لي معبودٌ سواه.

والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] يعني: الثَّناءُ كُلُّهُ للهِ، والعبادةُ مِنَ الثَّناءِ، ومِن الحمدِ.

وكلُّ ما سوى الله عالَمٌ، من الجنِّ والإنسِ والحيواناتِ والجبالِ، كُلُّها عَوَالِمٌ، وأنَا واحد من ذلك العالم الذي خلقه الله وأوجده، وأوجب عليه طاعته، فعلى جميع العالمين من المكلَّفين من الجنِّ والإنسِ أنْ يُطيعُوا اللهَ ورسولَهُ، ويُوحدُوه جلَّ وعلا.

وهكذا الملائكةُ عليهم أنْ يعبدوا الله وحده؛ ولهذا قال تعالى عن الملائكة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧-٢٨].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمسُ وَالقمرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

والرب: هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١-٢٢].

قال ابن كثير [(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة .

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا قيل لك: أيها المسلم بم عرفت ربك الذي أنت تعبده؟، فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته، أي: عرفته بآياته الكثيرة، وبمخلوقاته العظيمة، التي تدل على أَنَّهُ الرَّبُّ العظيمُ، وأَنَّهُ الخلَّاقُ العليم، وأَنَّهُ المستحقُّ؛ لأَنْ يُعبدَ، وأَنَّهُ الذي يخلقُ مَا يشاءُ، ويُعطِي وَيَمنعُ، وَيَنفعُ وَيَضُرُّ، بِيَدِهِ كُلُّ شيءٍ سبحانَهُ وتعالى.

فهو الْمُستحقُّ بأن نعبده بطاعته وَدَعَائِه واستغاثتِه، وَسَائر أعمالنا وعباداتنا؛ لأنَّ اللهَ خلقنا لهذا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريَات: ٥٦].

وهذه العبادة، هي: توحيده وطاعته، واتِّباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه قولًا وعملًا.

والدليل على معرفة الله بآياته قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧] كُلُّ هذه تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ وَأَنَّهُ الخَلَّاقُ العَليمُ، يَأْتِي اللَّيلُ بِظَلامِهِ، وَيَذهبُ النَّهارُ بِضِيائِهِ، ثُمَّ يَجِئُ النَّهارُ ويَذْهَبُ اللَّيلُ.

---

(١) هو أبو الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي نسبًا الدمشقي مولدًا الشافعي مذهبًا صاحب التفسير والتاريخ المشهور بالبداية والنهاية المتوفى سنة [٧٧٤هـ] نظر: لمزيد من ترجمته تذكرة الحفاظ للذهبي(٤/١٥٠٨) والدرر الكامنة لابن حجر(١/٤٠٠) ولكلامه هذا انظر: تفسير القرآن العظيم له عند تفسيره سورة البقرة الآية [٢٢] (١/١٩٧) طبعة طيبة الإصدار الثاني الطبعة الثالثة عام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥م.

وهذه الشَّمسُ تَطْلُعُ على النَّاسِ في الدنيَا كُلِّهَا، وينتفعون بها، وهذا القمر كذلك، في الليل وغير هذه من الآيات العظيمة، كالأرض وما فيها من جبال، وأنهار، وبحار، وأشجار، وحيوانات، وهذه السموات التي يراها النَّاسُ، كلُّهَا من آياته الدَّالة على عظمته، وأنَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ، وَأنَّهُ الخَلَّاقُ الْعَليمُ، وَأَنَّهُ الْمُستَحِقُّ للعبادة؛ ولهذا قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] يعني: لا تَعبدُوا هَذِهِ المخلوقات؛ بل اعبدوا الذي خلقها، وأوجدها سبحانه وتعالى، فهو الْمُستَحِقُّ بِأنْ يذلَّ لَهُ العبدُ، ويَخضعَ لَهُ، ويُطيعَ أوامرَهُ، ويَنتَهِيَ عَن نَوَاهِيهِ سبحانَهُ وتعالى؛ تَعظِيمًا وتَقدِيسًا لهُ، وخوفًا مِنهُ، ورغبةً فِيمَا عِنْدَهُ.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: إنَّ ربَّكم أيُّها العباد من الجنِّ، والإنسِ هو الله، وربكم، يعني: خالقكم، وهو معبُودُكم الحقّ وحدَهُ لا شريك له: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: ثم ارتفع على العرش، وعلا فوقه سبحانه وتعالى.

فَعِلْمُهُ في كلِّ مَكانٍ، وَهُو فَوقَ العَرشِ، فَوقَ جَمِيعِ الْمَخلُوقَاتِ، وَالعَرشُ: سَقْفُ المخلوقاتِ، وهو أَعْلَى المخلوقاتِ، وَاللهُ فَوقَهُ جَلَّ وَعَلا، اسْتَوَى عَلَيْهِ، اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلالِهِ، لَا يُشَابِهُ خَلقَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: يُغَطِي هَذَا

بِهَذَا، وَهَذَا بِهَذَا، ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: سريعًا، وكلٌّ واحدٍ يَطْلُبُ الآخَرَ، إذا انْتَهى هَذَا دَخَلَ هَذَا، وَهَكَذَا... حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: وَخَلَقَ الشَّمسَ والقمرَ، والنَّجُومَ خَلَقَهَا مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ، مُطِيعَاتٍ، مُذَلَّلَاتٍ لأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ.

ثم قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالخلقُ له سبحانه، والأمرُ له، هو الخَلَّاقُ الذي لا يُخالَفُ أَمرُهُ الكَوْنِيُّ الَّذِي هُوَ نَافِذٌ فِي النَّاسِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] فَأَمْرُ اللهِ الْكَوْنِيُّ الْقَدَرِيُّ لَا رَادَّ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فـ(تباركَ) يعني: بَلَغَ في البَرَكَةِ النِّهَايَةَ، وَهِيَ صِيغَةٌ لَا تَصْلُحُ إِلَّا للهِ، فَلَا يُقَالُ لِلْعَبْدِ: تَبَارَكَ يَا فُلَانُ، هَذَا لَا يَصْلُحُ، وإنَّمَا هُوَ خَاصٌّ بِاللهِ، كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [المُلك: ١] وإنَّما يُقَالُ لِلْمَخْلُوقِ: بَارَكَ اللهُ فِي فُلَانٍ، أَوْ فُلَانٌ مُبَارَكٌ، أَمَّا تَبَارَكْتَ، فَإِنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا للهِ وَحْدَهُ.

والرَّبُّ: هو المعبودُ، وَ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المخلوقاتُ كُلُّها مِن الجنِّ والإنسِ، والسَّماءِ والأرضِ، وهو رَبُّهَا سُبحَانَهُ وتعالى، و ربُّ الجميعِ، وخَالقُ الجميعِ جَلَّ وَعَلا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] خَلَقَ الْجَمِيعَ الَّذِينَ قَبْلَنَا، وَالَّذِينَ بَعدَنَا مِنْ آدم، ومَا قَبْلَهُ، وَمَا بَعْدَهُ، فهو خلق الجميع لِيَتَّقُوهُ وَيَعْبُدُوهُ، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ بَعْضَ أَفْعَالِهِ، فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِى

جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢] فجعل الأرض فراشًا للنَّاسِ، وَمِهَادًا لهم، عليها يسكنون، وعليها يبنون، وعليها ينامون، وعليها يمشون، وأرساها بالجبال.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢] فجعلها بناءً وسقفًا محفوظًا، وهم عن آياتها معرضون، وزيَّنَهَا بالنُّجُوم والشَّمسِ والقمرِ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة: ٢٢] أي: مِن السَّحابِ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أنواع الأرزاق في كل مكان، ويحيي الله به الأرض بعد موتها.

ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: أشباهًا ونظراء تعبدونها معه، لا صنمًا، ولا جنًا، ولا ملكًا، ولا غير ذلك.

فالعبادة: حقُّ الله وحده، ليس له نديد، ولا نظير، ولا مثيل؛ بل هو الإله الحقّ، وكان المشركون يتخذون له الأنداد، والنظائر، والأمثال من الأصنام والجنّ، والملائكة، ويعبدونهم من دون الله، ويستغيثون بهم، فأنكر الله عليهم ذلك، وبيَّن أنَّ هذه المخلوقات ليس لها حقّ في العبادة، ولا قدرة لها على شيء إلَّا بإذن الله سبحانه وتقديره.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: الخالق لهذه الأشياء من سماء، وأرض، وثمار، وأشجار، ومطر وغير ذلك، هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى، وأن يطاع؛ لأنَّه ربّ الجميع، وخالق الجميع، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

معنى العبادة وأنواعها

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ التي أَمَرَ اللهُ بِهَا، مِثْلُ الإِسْلَامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحسَانِ، وَمِنهُ الدُّعَاءُ، وَالخوفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذرُ، وَغَيرُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ التي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا للَّهِ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»[(١)] والدَّليلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]».

---

(١) رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم ٣٣٧١، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، والحديث في سنده ابن لهيعة وهو ضعيف، إلا أن هذا الحديث يشهد له حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما «الدعاء هو العبادة» لذا عضد به الشيخ في شرحه، كما سيأتي، ومعنى مخ العبادة: خالصها، قال ابن الأثير: مخ الشيء خالصه، وإنَّما كان مخ العبادة الدعاء لأمرين: أحدهما: أنه امتثال لأمر الله تعالى حيث قال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فهو محض العبادة وخالصها، الثاني: أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه ودعا لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة؛ ولأنَّ الغرض من العبادة الصواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء. انظر: النهاية في غريب الحديث مادة: [مخخ]، باب الميم مع الخاء ص٨٦٠، طبعة دار ابن الجوزي الثالثة عام١٤٢٥هـ .

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

العبادة أنواع: فمنها الإسلام بأركانه، فكل ما أمر الله به من أعمال الإسلام عبادة، من صلاة، وصوم، وغير ذلك، وهكذا الإيمان بأعماله الباطنة، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وكذلك الخوف، والمحبة، والرجاء، إلى غير ذلك، فكل ما يتعلق بالقلوب داخل في العبادة، وهكذا الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وهذا أيضًا من العبادة؛ بل هو أعلى أنواع العبادة وأعظمها.

فالواجب على كل مُكلَّف إخلاص العبادة لله وحده، فلا يدعو مع اللَّه الأنبياء، ولا الأولياء، ولا الأصنام، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا النجوم؛ لأنَّ العبادة حقّ لله وحده، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال عزَّ وجل: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

فسمى سبحانَهُ دعاءهم شركًا، فالواجب على جميع المكلفين إخلاص العبادة لله وحده، رجاءً، وخوفًا، واستعانةً، واستغاثةً، وذبحًا، ونذرًا، وخشيةً لله، وصلاةً، وصومًا، إلى غير ذلك، كُلّه لله وحده، فمن تقرَّب لغير الله من وليٍّ، أو نبي، أو صنم، أو شجر، أو حجر بالدعاء، أو بالذبح، أو بالنذر، أو بالصلاة، أو بالصوم ونحو ذلك، فهو مشرك كافرٌ أشرك بالله، وعَبَدَ مَعَهُ سواه، كفعل المشركين الأولين، من عُبَّاد القبور، وعُبَّاد الأشجار، والأحجار، والأصنام، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

فكل هذه العبادات يجب إخلاصها لله، ومن صرف منها شيئًا لغير الله من صنم، أو شجر، أو حجر، أو قبر، فهو مشرك بالله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ولغيرها من الآيات السابقات، وهذا دليل على ما تقدَّم.

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»[١] وفي لفظ آخر: «الدُّعَاءُ هو العِبَادَةِ»[٢] وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، انظر/ المسند (٤/ ٢٦٧) وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٧٩)، والترمذي في أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، برقم (٣٣٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح =

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] فسمى الدعاء عبادة فِي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني: عن دعائي.

فالدعاء: هو أن يضَّرع إلى الله يدعوه، ويسأله النجاة، ويسأله الرِّزق، كل هذا عبادة، فإذا صرفها للصنم، أو للشجر، أو للحجز، أو لميت، صار مشركًا بالله عزَّ وجلَّ، فيجب الحذر من الشرك كله دقيقه وجليله، وأن تكون العبادة لله وحده؛ لكن دعاء الحي الحاضر القادر، والاستعانة به فِي الشيء المقدور عليه، لا بأس به، ولا يعتبر داخلًا في الشرك.

فلو قلتَ لأخيك الحاضر: يا عبد الله، أعنِّي على قطع هذه الشجرة، أو على حفر هذه البئر، فلا بأس بذلك، كما قال سبحانه في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] الآية استغاثة الإسرائيلي على القبطي؛ لأنَّ موسى قادر على إغاثته، يتكلم ويسمع.

أمَّا إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا اللَّه، حاضرًا، أو غائبًا، أو ميتًا، واعتقد أنَّهُ ينفع من دعاه، أو يضر، لا بالأسباب الحسيَّة، من الشرك باللَّه، كما قال تعالى عنهم أنَّهم قالوا: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فيظنون أنَّهُم يستطيعون بعبادتهم إيَّاهم أنْ يشفعوا لهم عند اللَّه في حصول مطالبهم، أو أنَّهم يقربونهم إلى اللَّه زلفى.

= والنسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير في تفسير سورة غافر، برقم (١١٤٦٤)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب في فضل الدعاء، برقم (٣٨٢٧)، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٨٩٠)، والحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر برقم (١٨٠٢) وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٤٩١) كما صححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، حيث قال: أخرجه أصحاب السنن بسند جيد (١/ ٦٤).

كما قال اللّٰه سبحانه عنهم في الآية الأخرى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] وهذا من جهلهم وضلالهم بالشافع والمشفوع إليه.

والله سبحانه له الشفاعة جميعًا، وهو الذي يتصرف في عباده كيف يشاء، فلا يأذن بالشفاعة إلَّا فيمن يرضى الله عمله، ولا يشفع أحد عنده إلَّا بعد إذنه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فالشفاعة لا تكون إلَّا بإذنه للشافع، ورضاه عن المشفوع فيه، وهو سبحانه لا يرضى بالشفاعة إلَّا لأهل التوحيد، كما صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: لَمَّا سأله أبو هريرة ﷺ قائلًا: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»[1] أخرجه البخاري في صحيحه.

ولا تكون الشفاعة إلَّا لمن رضي قوله وعمله من أهل التوحيد والإيمان .

❀ ❀ ❀

---

(١) في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث برقم (٩٩)، وفي كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٧٠).

ذكر بعض أنواع العبادة

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] في الحديث: «.. إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ...»[(١)].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه أحمد والترمذي وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما في وصايا النبي ﷺ له، انظر: المسند (١/٣٠٧، ٣٠٨)، والترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب رقم [٥٩] باب بدون عنوان برقم (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ومن السنة: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»(١).

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذاكرًا بعض أنواع العبادة: منها الخوف: وهو أقسام ثلاثة:

الأول: خوف السر، وهذا خاص باللهِ؛ لأَنَّهُ القَادرُ على كل شيءٍ، وهو الَّذِي يُخافُ، وَيُخْشَى، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

فالواجب خشيَّةُ الله وخوفه؛ لأنَّه مصرف القلوب ومقلبها، والقادر على كُلِّ شيءٍ، وهو الذي ينفع، ويضر، ويعطي، ويمنع، فالواجب تخصيصه بالخوف، وألا يخاف هذا الخوف إلَّامن الله في كل الأمور.

ولكن خوف السر يختص به سبحانه، وهو كون الإنسان يخاف من أجل قدرة خاصة سرية، ليست حسب الحس، ولذلك يعتقد عُبَّاد القبور

---

(١) أخرجه مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله، ولعن فاعله برقم (١٩٧٨) وأصل اللعن من الله: هو الطرد والابعاد عن مظان رحمة الله ومواطنها، ومن الخلق: السَّبُّ والدعاء، واللعين، والملعون: من حقت عليه اللعنة، نسأل الله السلامة والعافية. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير مادة [لعن] ص ٨٣٧. باب اللام مع العين.

أنَّ بعضَ النَّاس له القدرة على التصرف فِي الكون مع الله جَلَّ وعَلا، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام، والجن وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر، ويعتقد فيهم أيضًا أنَّ لهم القدرة على العطاء، والمنع، وزيغ القلوب، وموت النفوس دون أسباب حسيَّة.

الثاني: خوف الأسباب الحسية، كما قال تعالى في قصة أُحُد، لما قيل للنَّبِيِّ ﷺ: إنَّ المشركين قد جمعوا لكم، وسيرجعون إليكم، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥].

فالشَّيطَانُ: يُخَوِّفُ النَّاس من أوليائهِ، وَيُعظِّمُهُم في صدورِ النَّاسِ حتى يخافوهم، واللهُ يقولُ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾؛ بل اعتمدُوا عليَّ، وأعدوا العدة، ولا تُبَالُوا بهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] وهذا الخوف الحسي لا بأس به؛ لكن الخوف القلبي خوف السر، هذا هو المنهي عنه.

أمَّا الخوف الحسي: مثل أنْ يخاف اللصَّ، أو السارقَ، أو العدُوَّ، فَيَعُدُّ العُدَّةَ من السلاح اللَّازم، كلُّ هذا لا بدَّ منه، لهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النِّسَاء: ٧١] وقال سبحانه في قصة موسى لما خرج من مصر خائفًا من فرعون وقومه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ٢١].

فإنَّ هذا الخوفَ خوفٌ حِسِّيٌّ لا بأسَ به؛ لكن لا يَجُوزُ خوفُ العدوِّ خوفًا يَمْنَعُ من جهادهِ، ونصرِ الحقِّ، وإنَّما يَحْمِلُه هذا الخوفُ على الإعدادِ للعدوِّ، وأخذ الحذرِ.

الثالث: الخوفُ الطَّبيعيُّ، الَّذي جُبلَ عليه الإنسانُ، وهذا لا

حرجَ فيه، مثلُ خوفِ الإنسانِ الحَيَّةَ، والعقربَ، والسَّبُعَ، فيتباعدُ عنها، ويَقتُلها، ويَتباعدُ عن مظنَّةِ السِّباعِ حتى لا يَتأَذَّى بها.

هذا أمرٌ لا بدَّ منه، واللَّه جَبَلَ النَّاسَ على الخوفِ مما يُؤْذِي حتى يتحرَّزَ منهُ، يخافُ البردَ، فيلبسُ الثِّيابَ الغليظةَ، ويخافُ من الجوعِ فيأكُلُ، ويخافُ العطش فيشربُ، هذه أمورٌ طبيعيَّةٌ لا بأسَ بِهَا.

وهكذا الرجاءُ عبادةٌ للَّهِ، فيرجُو اللَّهَ، ويُحسِنُ به الظنَّ، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالرغبةُ إليه، ورجاءُ ما عندَه، عبادةٌ له سبحانَه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالرَّغَبُ: الرجاءُ، والرَّهَبُ: الخوفُ، وكلاهما عبادةٌ، وعلى العبدِ أن يُحْسِنَ ظنَّه بربِّهِ، وَيَعْمَلَ بالأسبابِ الشَّرعيَّةِ، وإنَّ الظنَّ الحسنَ مع الأخذِ بالأسبابِ، يَعودُ على العبدِ بالخيرِ، وبالرحمةِ، وبدخولِ الجنَّةِ، وبمغفرةِ الذنُوبِ.

وهكذا التوكلُ عبادةٌ، وهو التفويضُ إلى اللهِ، والاعتمادُ عليه في كلِّ الأمورِ، مع الأخذِ بالأسبابِ، فَتَعْتَمِدُ على اللهِ في السلامةِ من الشرِّ، والعافيةِ من الفتَنِ، وحصولِ الرِّزقِ، وفِي دخولِ الجنَّةِ، والنجاةِ من النارِ، مع الأخذِ بالأسبابِ المشروعةِ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] يعني: كافيه.

وهكذا الرغبةُ والرهبةُ والخشيةُ من اللهِ، كلُّ هذه عباداتٌ، قال

تعالى عن الأنبياءِ والصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] يعني: خائفينَ يَخْشَوْنَ اللهَ، ويَخْشَعُونَ لعظمتِهِ؛ أي: يَذِلُّونَ.

وهكذا الإنابةُ عبادةٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٥٤] والإنابةُ معناها: الرجوعُ إلى اللهِ، والتوبةُ إليهِ، والاستقامةُ على طاعتِهِ، فهذه عبادةٌ للهِ، يَجِبُ على النَّاسِ أن يُنِيبُوا إلى اللهِ، ويَرْجِعُوا إليهِ، ويَتُوبُوا إليهِ، ويَسْتَقِيمُوا عَلَى طاعتِهِ.

وهكذا الاستعانةُ عبادةٌ، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة:٥] وفي الحديث: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[1] فيستعينُ العبدُ باللهِ، فتقولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذكركَ وشكركَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي على طاعتِكَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي على كُلِّ خيرٍ، إلى غيرِ هذا، تَسْتَعِينُ باللهِ فِي كلِّ الْمُهِمَّاتِ.

وهكذا الاستعاذةُ عبادةٌ، أن تَسْتَعِيذَ باللهِ مِن الشرورِ، وتَلجأَ إليهِ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: ١]، فالاستعاذةُ باللهِ: من الشيطانِ، ومن كلِّ مُؤذٍ، ومن كلِّ عدُوٍ، أمرٌ مأمورٌ به، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وهكذا الاستغاثة عبادة، أن تستغيث بالله فِي الشدائد من عدو، أو تطلبه إنزال الغيث المبارك، أو بكشف الضُّرِّ، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

---

(١) سبق تخريجه.

وهكذا الذبح عبادة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ ؛ أي: يعني: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وهكذا النَّذر عبادة: قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية، قال ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ، فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ، فَلَا يَعْصِهِ»[1].

فالنذر: عبادة وطاعة للَّه، إذا فعله الإنسان لزمه الوفاء، والنذر مكروه؛ لأنَّ فيه التزامًا، وفيه مشقة؛ ولهذا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عن النذر.

وقال: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ»[2]؛ ولكن إذا نذر طاعة لزمه الوفاء؛ لقول الرسول ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ» فإذا نَذَرَ عبادة من صلاة، أو صوم، أو صدقة، أو غيرها لزمه الوفاءُ لما تقدَّم.

❀ ❀ ❀

---

(١) رواه البخاري من حديث عائشة ﵂ في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة برقم (٦٦٩٦)، كما كرره في نفس الكتاب، بعد ثلاثة أحاديث في، باب النذر فيما لا يملك وفي المعصية برقم (٦٧٠٠).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وتمامه: «وإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ» والفظ المستشهد به لفظ مسلم، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، برقم (٦٦٩٢، ٦٦٩٣)، ومن قبل في كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، برقم (٦٦٠٨)، ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا برقم (١٦٣٩).

الأصل الثاني: معرفة العبد دينه

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْخُلُوص مِنَ الشِّرْكِ[1] وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: «الإِسْلَامُ» و«الإِيمَانُ» و«الإِحْسَانُ»، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَان:

المرتبة الأولى: أَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا الله وَحْدَهُ: (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلَّا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

---

(١) وفي بعض نسخ ثلاثة الأصول: [وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِّيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

ودليل الصلاة، والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيّنة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

هذا هو الأصل الثاني: وهو معرفة دينُ الإسلام، وهو ثَلاثُ مراتِبَ بيَّنهَا رسول اللَّه ﷺ، فأولُها الإسلام: وهو الإخلاص لله وحده؛ يعني: الاستسلام لله بالعبادة، وتخصيصه بها دون كلِّ ما سواه، والبراءة من الشرك وأهله.

فَإِذَا فعلَ ذلك ـ العبد ـ فقد أسلم؛ يعني: انقاد وذلَّ، وخضعَ للهِ ووحدَه بالعبادةِ دون كلِّ ما سواه، وتبرَّأ من الشركِ وأهلِه، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والكفرُ بالطاغوتِ معناهُ: البراءةُ من الشركِ وأهلِه، وإنكارُ ذلك،

واعتقادُ بطلانِهِ، وهناك مرتبةُ الإيمانِ، ومرتبةُ الإحسانِ، وكلُّها داخلةٌ في دين الإسلام؛ الدين الَّذي شرعه اللَّه لعباده، وأرسل به الرُّسلَ جميعًا ومرتبةُ الإسلامِ تَشْمَلُ الأعمال الظاهرة.

وأركانُهُ خمسةٌ: شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ لِمَن استطاعَ إليهِ سبيلا، كما ثبت ذلك عن النَّبيِّ ﷺ في قوله: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحجّ الْبَيْتِ»[١].

فأولُ أركانِ الإسلامِ: شهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وبهَا يَدْخُلُ العبدُ فِي الإسلامِ، فيشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، أي: لا معبودَ حقٌّ إلَّا اللَّهُ، وهي نفيٌ، وإثباتٌ، فلا إله: نَفْيٌ، وإلَّا اللَّهُ: إثباتٌ، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة: ٥] الآية وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

أمَّا قولُها بدونِ العملِ بهَا، فلا تَنْفَعُ كَأَنْ يقولَ: لَا إلهَ إلَّا اللهُ، ولا يَخُصُّ اللهَ بالعبادةِ، فَإِنَّ شهادتَهُ لَا تَنْفَعُ، كالمنافقين، فَإِنَّهم يَقُولُونَهَا، ولا يَعْتَقِدُونَهَا، فهم فِي الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النَّارِ، فالَّذِي يَقُولُ: لَا إلهَ إلَّا اللهُ، ويَعْبُدُ القُبورَ والأصنامَ لا تنفعُه؛ بل هي باطلةٌ.

وأمَّا الشهادة الثانية: وهي أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، فدليلُهَا قولُه

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم برقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام برقم (١٦).

تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] يعني: محمدًا عليه الصلاةُ والسلامُ تعرفونه؛ لأنَّه من أنفسكم، وهو من أشرف قبائِلكم من بني هاشم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يَشُقُّ عليه مَا يَشُقُّ عليكم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يعني: على هدَايَتِكُمْ، وإنقاذِكُم من النَّار.

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية وبعدَ هذهِ الشَّهَادَةِ، عَلَى العبدِ أن يُطِيعَهُ فيما أمرَ، وأن يُصَدِّقَهُ فيما أخبرَ، وأن يَجْتَنِبَ ما عنهُ نَهَى وزَجَرَ، وألَّا يَعبُدَ اللهَ إلَّا بِمَا شَرَعَ، فلا بدَّ مِن هذهِ الأمورِ الأربعةِ:

الأول: طاعتُهُ فيما أمرَ من الصلاةِ، والزكاةِ، وغيرِها.

الثاني: تَصديقُهُ فيما أخبرَ عن الآخرة، والجنَّةِ والنَّارِ، وغيرِ ذلكَ.

الثالثُ: واجتنابُ مَا عنه نَهَى وزجَرَ، كالزِّنَا، والرِّبَا وغيرِ ذلكَ مِمَا نَهَى اللهُ عنهُ ورسولُه.

الرابع: وأن لا يُعْبَدَ اللهَ إلَّا بِمَا شَرَعَ، فَلَا يَبْتَدِعُ فِي الدِينِ مِمَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**[(١)]، وفي رواية: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**[(٢)] أي: هو مردودٌ.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨)، وقد ذكره البخاري معلقًا تعليقًا مجزومًا به في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب [٢٠] في عنوان باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ... بين رقمي (٧٣٤٩ - ٧٣٥٠).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة ك وعن أبيها أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

ودليلُ الصَّلاةِ، والزَّكَاةِ، وتفسيرِ التَّوحيدِ: قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ هذا تفسير التوحيد: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: ٥] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٥].

ودليلُ الصِّيامِ: قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٣]الآيات إلى قوله سبحانه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي: أَنَّ الصِّيَامَ واجبٌ عليكم كُلَّ عامٍ، فِي شهرِ رمضانَ.

ودليلُ الحجِّ: قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] وهو مرةٌ فِي العُمُرِ؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «.. الْحَجُّ مَرَّةٌ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»(١) ـ فهذه هي أركان الإسلام الخمس ـ .

---

(١) طرف من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في سؤال الأقرع بن حابس للنبي ﷺ رواه أحمد في المسند (١/ ٢٥٥، ٢٩٠، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٧١) وأبو داود فِي سننه في كتاب المناسك، باب فرض الحج برقم (١٧٢١)، والنسائي فِي كتاب مناسك الحج، باب وجوب الحج، برقم (٢٦١٩)، وابن ماجه فِي كتاب المناسك، باب فرض الحج، برقم (٢٨٨٦)، وأخرجه الحاكم فِي المستدرك فِي كتاب الحج، برقم ١٧٢٨، وصححه ووافقه الذهبي. انظر: التلخيص مع المستدرك (١/ ٦٤٣).

قال المؤلف رحمه الله:

«المرتبةُ الثانيةُ: الإيمانُ[(١)]: وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ[(٢)].

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ. وَالدَلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ: رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ: قَولهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية».

---

(١) الإيمان في اللغة: التصديق، وشرعًا: هو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ ابن باز جمع وترتيب د. محمد بن سعد الشويعر [٥/ ٣٥] طبعة الإفتاء الطبعة الرابعة عام ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «فأفضلها» بدل فأعلها، وفيه أيضاً «بضع وستون أو بضع وسبعون» أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان برقم (٣٥).

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الإيمانُ: هو ما يتعلَّقُ بالقلوبِ، من التصديق باللهِ، وأنَّه ربُّ العالَمِينَ، وأنَّه هو المُستَحِقُّ للعبادةِ، والتَّصديقِ بالملائكةِ، وبالكتبِ، وبالرُّسلِ، وبالبعثِ بعدَ الْمَوْتِ، والجنَّةِ والنَّارِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ، وشرِّهِ.

كُلُّ هذا يَتعلَّقُ بالقلوبِ، فهو أصلٌ مِن الأصولِ الَّتِي لا بدَّ منها، فلا إسلامَ إلَّا بإيمانٍ، ولا إيمانَ إلَّا بإسلامٍ، فَلَا بُدَّ من هذا، وهذا، لا بدَّ من إسلامِ الجوارحِ، ولا بدَّ من إسلامِ القلوبِ، وإيمانِهَا؛ ولهذا جَمَعَ اللهُ بَيْنَ الأَمرَيْنِ فِي كتابِهِ العظيمِ، وهكذا الرسولُ ﷺ ذَكَرَهُمَا جَمِيعًا.

فالإسلامُ: هو الانقيادُ الظاهرُ بطاعةِ اللهِ وتركِ مَعصيَتِهِ، والإيمانُ يَشملُ الأَعمالَ الباطنةَ مِمَا يَتعلَّقُ بالقلوبِ وتصديقِهَا، وَيُطلقُ الإسلامُ على الإيمانِ، ويطلق الإيمانُ على الإسلامِ.

فإذا قيل: الإيمانُ: عَمَّ الجميعَ، وإذا قيل: الإسلامُ: عَمَّ الجميعَ أيضًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] فيَعُمَّ مَا يَتعلَّقُ بالباطنِ والظاهرِ.

وهكذا الإيمانُ إذا أُطلِقَ عَمَّ الجميعَ؛ لقولِهِ ﷺ فِي الحديثِ الصحيحِ: «**الإِيمَانُ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»[١].

فالإيمان هُنَا يَعُمُّ الجميعَ، فَيَعُمُّ أركانَ الإسلامِ، ويَعُمُّ جميعَ الأعمالِ الظاهرةِ، كَمَا يَعُمُّ الباطنةَ، كَمَا أَنَّهُ يشملُ الإحسانَ.

---

(١) سبق تخريجه.

أمَّا الإحسانُ: فهو إكمالُ العبادةِ ظاهرًا وباطنًا، وهو أن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَمَنْ عَبَدَ اللهَ على هذا الاستحضارِ، فقد أدْركَ مرتبةَ الإحسانِ، واجتمعَ لهُ الخيرُ كُلُّه، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وقَالَ عزَّ وجل: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] والآياتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

قال المؤلف رحمه الله:

«وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ [(١)] حَدِيثُ جِبْرِيل الْمَشْهُورُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادُ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟، فَقَالَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : «**الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ، الْعَالَةَ**

---

(١) وهذا الدليل من السنَّة على مراتب الدين الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

رِعَاءَ الشَّاء، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا جِبْرِائيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»[1]».

❀ ❀ ❀

---

(١) أورده مسلم أول حديث في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، برقم (٨).

الأصل الثالث: معرفة النبي ﷺ

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّد ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِاللهِ بنُ عَبْدِالْمُطَّلِبِ بنُ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِن الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِن ذُرِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ والسَّلام.

وَلَهُ مِن الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَةِ، وَثَلَاثٌ وَعُشرُون نَبِيًّا وَرَسُولًا، نُبِأَ بـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بـ(الْمُدَّثِّرِ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُوا إِلَى التَّوحِيدِ، والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

ومعنى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عِن الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ؛ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مَن الشِّرْكِ، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا والبراءَةُ مِنهَا وأهلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشرَ سِنِينَ يَدعُو إِلَى التَّوحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ[1] بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ».

---

(١) العروج: هو الصعود إلى الأعلى، عرج يعرج عروجًا إذا صعد إلى العلو بالدرج ونحوه، ومنه المعارج: الفواصل التي تصعد بها الملائكة إلى السماء، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة [عرج] باب العين، فصل الراء (ص ٦٠٢)، وقصة إسراءه وعر وجه ﷺ إلى السماء وفرض الصلوات عليه مشهورة في دواوين الإسلام، فمنها ما رواه الشيخان في الصحيحين، عن أبي ذر ﷺ أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء برقم (٣٤٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (١٦٣).

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هذا هو الأصلُ الثالثُ: وهو معرفةُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، فعلى الإنسانِ أن يَعرِفَ نبيَّه الذي أَرْسلَه اللهُ إليه، وبلَّغه الرسالةَ، وبَيَّنَ له الشرائعَ التي أَمَرَهُ اللهُ بها، وَأَوْضَحَ لَهُ العِبادةَ التي خلقَنا اللهُ لَهَا.

هذا النَّبِيُّ هو: مُحَمَّدٌ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ، خَاتَمَ الأَنبياءِ ورسولُ اللَّهِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِن الجنِّ والإِنسِ، أَرْسَلَهُ اللهُ للنَّاسِ جَمِيعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

فاسمُه محمَّدٌ، واسمُه أحمدُ، واسمُه الحاشرُ، والماحي[١]، والْمُقَفَّى[٢]؛ لأَنَّهُ خَاتَمُ الأَنبياءِ وهو نَبِيُّ التَّوبةِ[٣]، ونَبِيُّ الرَّحْمَةِ[٤]،

---

(١) متفق عليه من حديث جبير بن مطعم وفيهما اسم خامس وهو «العاقب» أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ برقم (٣٥٣٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ برقم (٢٣٥٤).

(٢) الوصف بهذا الاسم ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه فيما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الفضائل [١١/ ٤٥٧] وأحمد فِي الْمسند (٥/ ٤٠٥) والبزار في مسنده برقم ٢٨٨٧ (٧/ ٢٩٤) و ذكر فيه نبي الملحمة، ثم كرر ه بزيادة نبي التوبة برقم (٢٩١٢) (٧/ ٣١٢) وصححه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٣١٥).

(٣) ورد هذا الاسم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «سمعتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ نَبِيَّ التَّوْبَةِ .. من قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بالزِّنَا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامة...» أخرجه مسلم فِي كتاب الأيمان، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا برقم (١٦٦٠).

(٤) وردت هذه التسمية في حديث حذيفة السابق تخريجه وفي حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه الذي أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب[١١٩] بدون عنوان برقم (٣٥٧٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة، برقم (١٣٨٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٢٥) برقم (١٢١٩)، والحاكم في المستدرك في كتاب صلاة التطوع برقم (١١٨٠)، وكرره برقم (١٩٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٣١٣).

ونَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ. هَذِهِ كُلُّهَا أسماؤه عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ؛ لكنْ أشهرُهَا وأفضلُهَا وأعظمُها مُحَمَّدٌ، الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُه، وَجَاءَ بِهِ الْقُرآنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩](١).

وَهَكَذَا أَحْمَدُ، كَمَا بَشَّرَ بِهِ عِيسَى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] فهو محمدٌ، وأبوهُ اسمُه عبدُاللهِ، وجدُّه اسمه عبدُالمطلبِ، وعبدُالمطلبِ لَقَبٌ وإلّا فاسمه شيبة، وأبو جدِّه اسمُه هاشمٌ، وهو سَيِّدٌ من ساداتِ قريشٍ، كَمَا أنَّ عبدَ المطلبِ كَذَلِكَ.

وهاشمٌ من قريشٍ، وقريشٌ قَبيلة عظيمة، وهي أفضلُ العربِ، والنَّبِيُّ ﷺ من خَاصَّتِهم، من بني هاشمٍ، وبنُو هاشم خَاصَّةُ قريشٍ، وهم أفضلُ قريشٍ: واسمُه فِهْرُ بنُ مَالِكٍ، وقيلَ: قريشٌ هو النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ جَدُّ فِهْر بنُ مَالِكٍ، وقريشٌ مِن العربِ الْمُسْتَعْرِبَةِ الَّتِي استَعرَبَ لِسَانُهَا، فصارَ لَهَا لَسَانٌ عَرَبِيٌّ وَاضِحٌ، فَهِيَ أَكْثَرُ عُرُوبَةً مِن قَحْطَانَ؛ ولهذا يقالُ لَهم: العربُ العاربة، والعرب الْمُستعرِبةُ، وهُم مِن ذُرِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ.

وهذا النَّبيُّ العظيمُ، وهو مُحَمَّدٌ ﷺ نُبِّئَ بـ(اقرأ)(٢)، فَأَولُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وَصَارَ بِهَا نَبِيًّا، وقَد أتاهُ جِبْرِيلُ،

---

(١) ورد اسم محمد ﷺ في القرآن في أربعة مواضع: في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] والثانية: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] والثالثة: قوله تعالى: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢] والرابعة: في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] الموضع المستشهد به في الشرح.

(٢) فقد ورد في الصحيحين عن عائشة ﵂ في قصة كيفية بدء الوحي عليه ﷺ أخرجه البخاري في كتاب بدأ الوحي، باب [٣] برقم (٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١٦٠).

وهو فِي الغارِ، غارِ حِرَاءٍ، فَأَقْرَأَهُ هَذِهِ السُّورَةَ.

ثُمَّ بعدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ جَاءَهُ بِالْمُدَّثِّرُ، فَصَارَ رَسُولاً بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢][1] والْمُدَّثِّرُ: الْمُلْتَحِفُ؛ لأَنَّهُ بعدَ مَا جَاءَهُ الوحيُ، اشْتَدَّ عليه الأمرُ، وقَالَ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي.. دَثِّرُونِي، دَثِّرُونِي.. مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِن الخوفِ لَمَّا ضَغَطَ عليه جِبْرَائِيلُ عليه الصلاةُ والسلامُ مراتٍ.

ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، تَمْهِيدًا لأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَعَظَمَتِهَا، ثُمَّ قَالَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] أَيْ: قُمْ فَأَنْذِرِ النَّاسَ، فَصَارَ رَسُولًا بِأَمْرِهِ بِالنِّذَارَةِ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِن الشِّرْكِ؛ لأَنَّ تَطْهِيرَ الْمَلَابِسِ غَيرُ مُرَادِهِ فِي هَذِهِ الآيَةِ؛ لأَنَّ الصَّلَاةَ لَمْ تُفْرَضْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، فَالمُرَادُ هُنَا الأَعْمَالُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] فَالْعَمَلُ يُسَمَّى لِبَاسًا.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ فالرُّجزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا الأَمرِ عَشْرَ سِنِينَ، يَدعُو إِلَى التَّوحِيدِ، وَيُحَذِّرُ مِن الشِّرْكِ، وَيَأْمُرُ بِخَلْعِ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَخُصُّوا اللهَ بِالعبادَةِ فِي دُعَائِهِمْ وَنَذْرِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ مَعَ جِبْرَائِيلَ، وَفُتِحَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ إِلَى مَوضعٍ رَفِيعٍ فوقَ السَّمَاءِ السَّابِعةِ، حَتَّى سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ

(١) جاء في الصحيحين أيضًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب بدأ الوحي، باب [٣] برقم (٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١٦١).

الأَقْلَامِ، ثُمَّ نَادَاهُ اللهُ جَلَّ وَعَلا وَكَلَّمَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، فَرَضَهَا خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ التَّخْفِيفَ حَتَّى جَعَلَهَا اللهُ خَمْسًا.

فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: هِيَ خَمْسٌ فِي العَدَدِ، وَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، فَمَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَأَدَّاهَا، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ خَمْسِينَ، فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

فَنَزَلَ بِذَلِكَ عليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، فَاسْتَقَرَّتْ الصَّلاةُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ: الظهرُ، والعصرُ، والمغربُ، والعشاءُ، والفجرُ، وَصَلَّاهَا فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ.

ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى قُرَيشٍ لَهُ ولأصحابِهِ، فَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالْهِجْرَةِ مِن مَكَّةَ؛ لأَجْلِ أَذَى وَظُلْمِ قُرَيشٍ، إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى الأَنْصَارِ، وقَدْ بَايَعُوهُ[1] فِي مُوسِمِ الْحَجِّ عَلَى أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَيْهِم وَيَنْصُرُوهُ ﷺ وَأَرْضَاهُمْ.

فَلَمَّا تَمَّتْ البَيْعةُ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُ بِالْهِجرةِ هَاجَرِ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ بعضُ أصحابِهِ قَدْ هَاجَرَ قَبلَ ذَلِكَ إلى الحبشةِ، ومَكثُوا عندَ النَّجَاشِيِّ مدةً، ثُمَّ هاجَرَ بَقِيَّتُهُم إلى المدينةِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمدينةِ جَاءَ الَّذِينَ فِي الْحَبشةِ إِلَى الْمَدينةِ، واسْتَقَرَّ الجميعُ فِي الْمَدينةِ، والحمدُ للهِ.

---

(١) انظر: ما أخرجه الشيخان عن كعب بن مالك رضي الله عنه البخاري في كتاب المناقب، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة برقم (٣٨٨٩)، ومسلم عنه مطولاً في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم برقم (٢٧٦٩)، وانظر: ما قاله جابر بن عبد الله، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما في حضورهما بيعة العقبة، البخاري الكتاب والباب السابقان برقم (٣٨٩٠ ـ ٣٨٩٣)، ومسلم في كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها برقم (١٧٠٩)، عن عبادة بن الصامت، وانظر: لتفاصيل قصة البيعة الأولى والثانية السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٧٩، ٢٩٦) وتاريخ الطبري لابن جرير [١/ ٥٦٥].

قال المؤلف رحمه الله:

«والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]، وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوي رحمه الله[1]: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة، قوله ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[2].

---

(١) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي الملقب بركن الدين، الإمام الفقيه المجتهد محي السنة، صاحب معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة في الحديث، والتهذيب والمصباح وغير ذلك، من التصانيف النافعة، مات بمرو الروز في شوال سنة [٥١٦ هـ] عن ثمانين سنة، انظر ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي ترجمة رقم (١٠٢٧) (١/ ٤٥٦، ٤٥٧)، وانظر لكلامه تفسيره معالم التنزيل عند تفسيره للآية المذكورة.

(٢) رواه أحمد وأبو داود من حديث معاوية رضي الله عنه انظر: المسند (٤/ ٩٩) وأبو داود في كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت برقم (٢٤٧٩)، كما أخرجه الدارمي في سننه في كتاب السير، باب أن الهجرة لا تنقطعن برقم (٢٤١٦).

فلما استقر في المدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها توفى، صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق، وهذا دينه لا خير إلَّا دل الأمة عليه، ولا شر إلَّا حذرها منه، والخير الذي دلها عليه التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها عنه الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس، والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

والنَّاس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وبعدَ البعثِ مُحاسبون ومجزيُّونَ بأعمالهم، والدليل قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

ومن كذَّبَ بالبعث كفرَ، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فلما استقر في المدينة بعد الهجرة أمره الله ببقية شرائع الإسلام من الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنَّ المدينة صارت دار إسلام، وهي العاصمة الأولى للمسلمين، فلهذا أمروا بهذه الأمور؛ لأنهم يتمكنون حينئذ من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا من رحمة الله عزَّ وجلَّ، أنْ أجلَّ هذه الواجبات إلى أنْ هاجر إلى المدينة، وكان أصل الزكاة مشروعًا في مكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ولكن أنصباؤها ومصارفها وتفاصيل أحكامها، كُلُّ هذا صار في المدينة، وهكذا صيام رمضان شرع في السنة الثانية من الهجرة.

وهكذا الحج شرع في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة، وأنزل اللَّه فيه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] في سورة آل عمران، وهي مدنية.

وهكذا الجهاد أمر به في المدينة، وكان في أول الأمر يجاهد من جاهده، ويكف عن من كف عنه، ثم أُمر بأن يبدأهم بالقتال، وأن يجاهد الكُفَّار، وإن لم يبدأوا، فيدعوهم إلى الله ويرشدهم إليه، فإنَّ أجابوا، وإلَّا قاتلهم حتى يستجيبوا للحقِّ إلَّا أهل الكتاب، فإنَّه يقبل منهم الجزية.

وسن اللَّه في المجوس سنة أهل الكتاب، إمَّا إسلام، وإمَّا جزية، وأمَّا بقية الكفرة إمَّا الإسلام، وإمَّا السيف مع القدرة.

وبعد ما أكمل اللَّه به الدين، وأتم به النعمة، توفاه اللَّه إليه بعد

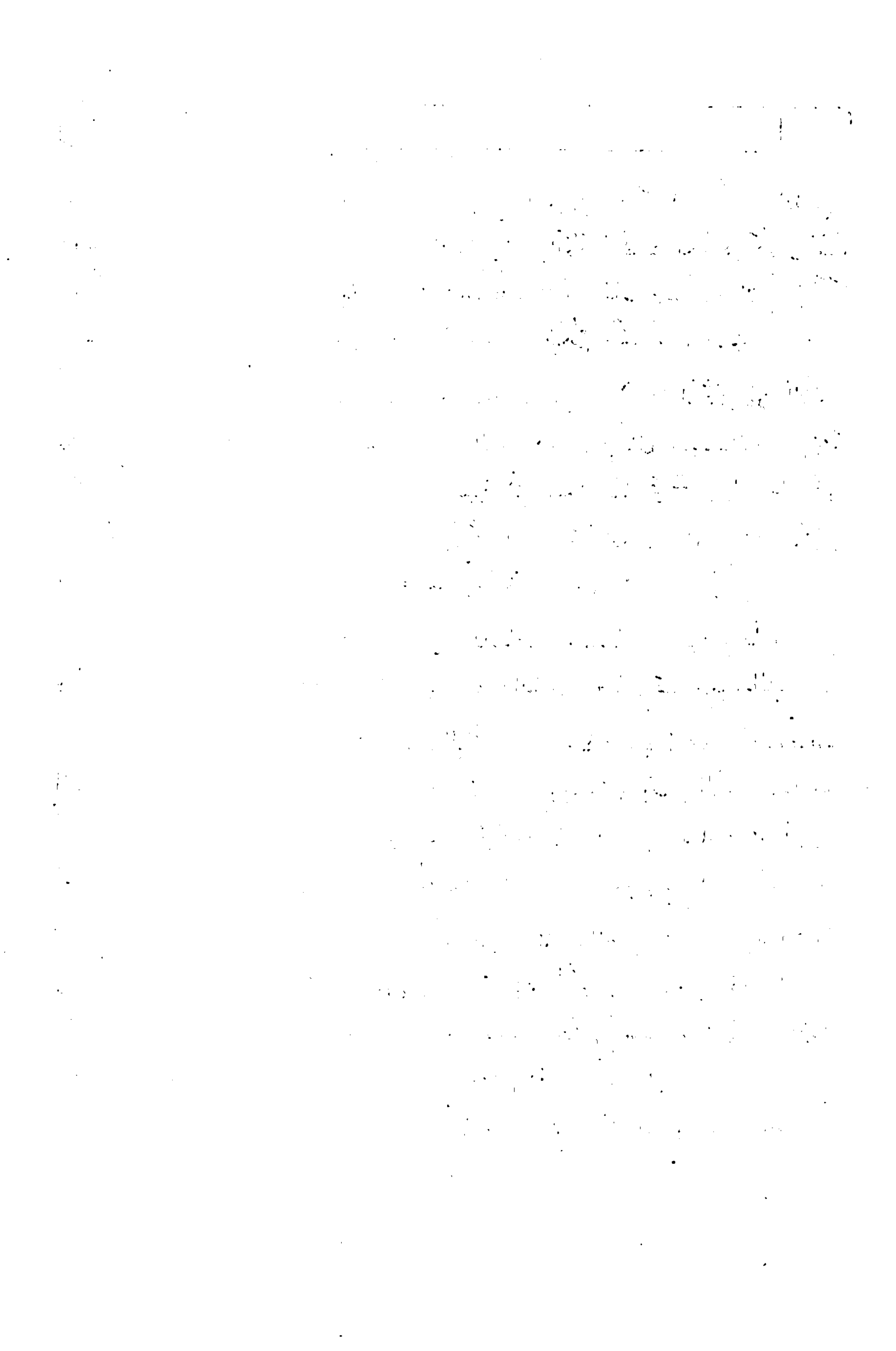
عشر سنين من الهجرة، بعد ما بلغ البلاغ المبين، وأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

والنَّاسُ إذَا مَاتُوا يبعثون، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨] وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

فهم مُحَاسَبُونَ ومَجْزِيُّونَ يوم القيامة، ويعطون كتبهم بأيمانهم وشمائلهم، فالسعيدُ يُعطى كتابه بيمينه، والشقي يعطى كتابه بشماله.

السعيد: يرجح ميزانه، والكافر: يخف ميزانه، وأصحاب المعاصي على خطر، فقد يرجح ميزانهم بالتوبة، أو بعفو الله سبحانه، أو بالحسنات، وقد يخف ميزانهم، فيكونون من أهل النار، فيعذبون فيها ما شاء الله، ثم يخرجهم الله من النَّار بسبب موتهم على الإسلام.

فالواجب على كل مكلف أن يحذر سيئات العمل، وأن يلزم التوبة والاستقامة؛ لأنه لا يدري متى يهجم عليه الأجل، فالحزم كل الحزم أن يأخذ المسلم بالعزيمة، ويجاهد نفسه حتى يستقيم على الحقِّ، والتوبة النَّصوح من جميع الذنوب، حتى إذا هجم عليه الأجل إذا هو على خير عمل، وعلى استقامة، فيفوز بالسعادة والنجاة يوم القيامة.



بيان ما بعث الله به الرسل عليهم السلام

قال المؤلف رحمه الله: «وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ - عليه السلام -[1] وَ آخِرُهُم مُحَمَّدٌ ﷺ، وهو خاتم النبيين، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

وكل أمة بعث الله إليهم رسولًا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

قال ابن القيم رحمه الله[2]: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبِدَ وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة

---

(١) قد ورد أنه أول رسول في حديث خبر الشفاعة العظمى عن عدد من الصحابة منهم أنس رضي الله عنه أَنَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَام، يَقُولُ: لأَهْلِ الْمَوْقِف حِينَمَا يَطْلِبُونَ مِنْهُ الشَّفاعَة يقول لهم: «.. إئْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ الله..» أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار برقم (٦٥٦٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٣).

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي الحنبلي أبو عبد الله شمس الدين المشهور بابن القيم الجوزية، ولد في ٧ صفر سنة[٦٩١هـ] له مؤلفات كثيرة مفيدة في الأصول والفروع، في العقائد والأحكام، توفي رحمه الله في دمشق في ١٣ رجب سنة [٧٥١هـ] انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٧ ـ ٤٥٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٣٤، ٢٣٥). وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٦/ ١٦٨ـ ١٧٠) وانظر: إعلام الموقعين في فصل تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المخالف للنصوص (ص٤٤).

نفسه، ومن ادعى شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وهذا هو معنى لَا إله إلَّا اللَّه، وفي الحديث: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[1] والله أعلم».

شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

والرَّسُولُ ﷺ مُرْسَلٌ إلى جَمِيعِ النَّاسِ، إلى الجنِّ والإِنْسِ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨] فهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي.

وهكذا الرسل جميعًا أرسلوا إلى أُممهم مُبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ، من أولُهم إلى آخرهم، فأولهم نُوحٌ، بَعَثَه لَمَّا وقَعَ الشرك في قومه.

وقبله آدم فَإِنَّه نَبِيٌّ رسولٌ مُكَلَّفٌ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إلى ذريتِهِ؛ ليعبدوا اللَّهَ بالشريعةِ التي جاءَ بِهَا أَبُوهُمْ آدم عليه الصلاةُ والسلامُ، واستمرُّوا على الإِسلامِ والاستقامةِ، حتى وقَعَ الشِّركُ فِي قومِ نُوحٍ، فَلمَّا وقَعَ

---

(١) جزء من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٣٧) وأخرجه الترمذي في أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم (٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، و ابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٣)، والنسائي في السنن الكبر في كتاب التفسير، في تفسير قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] برقم (١١٣٩٤)، والحديث صحيح، وقد سئل الشيخ ابن باز عنه فقال: الحديث صحيح رواه أحمد وغيره.

الشِّركُ فِي قومِ نُوحٍ، أرسلَ اللَّهُ إليهِمْ نُوحًا عليه الصلاةُ والسلامُ، وهو أوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهلِ الأَرْضِ بعدَ وُقُوعِ الشِّركِ.

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيهِمْ رَسُولًا، فَعَادٌ أَرسَلَ اللَّهُ إليهِمْ هُودًا، ثُمَّ أرسلَ اللَّهُ صَالحًا إِلَى قَومِهِ ثَمُودَ، ثُمَّ أرسلَ إبراهيمَ، ولُوطًا، وشُعيْبًا، فِي زمانٍ مُتقَاربٍ.

ثُمَّ جَاءَتْ الرُّسُلُ بعدَ ذَلِكَ تَتْرَى، فَفِيهِم مُوسَى وهَارُونُ وعِيسَى وأَيُوبُ ودَاوُدُ وسُليمَانُ، ثُمَّ خُتِمُوا بِمُحَمَّدٍ عَلَيه الصلاةُ والسلامُ، وهو خاتمهم وآخرهم وأفضلهم عليه الصلاة والسلام.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلا: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فقوله: ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ يعني: يُبَشِّرُونَ من أطاعهم بالجنَّة، و﴿وَمُنذِرِينَ﴾ يعني: يُنْذِرُونَ النَّاسَ مِن الشِّركِ بِاللهِ، وَمِنَ النَّارِ والعذابِ الأليمِ، إِذَا خَالَفُوا أَمرَ اللهِ.

وهكذا مُحَمَّدٌ ﷺ أرسلَهُ اللَّهُ بَشيرًا ونَذيرًا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فالواجبُ عَلَى جَميعِ الأُمَمِ اتِّبَاعُ رُسُلِهِم، فَكُلُ أُمَّةٍ يَجِبُ عَليهَا أَنْ تَتبعَ رسولَها، وتَنقَادَ لِمَا جاءَ بِهِ مِن الْهُدَى، وَقَدْ وعَدَهَا اللهُ على ذلك السعادةَ فِي الدُّنيَا والآخرةِ، وأكثرُ الخلقِ قَد عَصَوا رسلَهُم، وخَالَفُوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ

ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سَبَإ: ٢٠].

وكُلُّ رسولٍ يَدعُو أُمتَهُ إلى توحيدِ اللهِ، وطاعتِهِ، وتركِ الشركِ به ومعصيتِه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعني: أطيعوه، ووحِّدُوه، واستَقيمُوا على دينِه، واجتنبوا ـ عبادة ـ الطاغوتَ.

والطَّاغُوتُ: هو كُلُّ مَا عُبِدَ مِن دونِ اللهِ، وهُوَ رَاضٍ، وكُلُّ مَنْ حَكَمَ بغيرِ مَا أنزَل اللهُ، أو دعَا إلى ذلك، والطاغوت: مأخوذ من الطغيان: وهو تَجَاوُزُ الْحَدِّ، يُقَالُ: طَغَى الماء إِذَا جَاوَزَ الْحَدَّ.

والطَّاغُوتُ: هُوَ الَّذِي يَتَجَاوَزُ الحدَّ، إمَّا بشركِه وكفرِه، وإمَّا بدعوتِه إلى ذلكَ، وشرُّهم ورأسُهم إبليسُ لعنَه اللهُ، وهكذا كُلُّ مَن دَعَا إلى عبادةِ نفسِهِ، أو رضِيَ أنْ يُعبدَ مِن دونِ اللهِ كَفرعونَ والنَّمرُودِ، أو ادَّعى شَيئًا مِن عِلمِ الغيبِ، كالكهنةِ والعرَّافِينَ والسَّحَرَةِ فِي الجاهليَّةِ وفِي الإِسلامِ.

وكَذلِكَ مَن حَكَمَ بغيرِ مَا أَنْزَل اللَّهُ مُتَعَمِّدًا، فَهؤلاءِ رُؤوسُ الطَّوَاغِيتِ، وكُلُّ مَنْ جَاوَزَ الحَدَّ، وخَرَجَ عِن طَاعَةِ اللهِ، يُسَمَّى طَاغُوتًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] فالرُّشدُ: الإسلامُ ومَا جاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ، والْغَيُّ: الكفرُ بِاللهِ والضلالُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] فـ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ يعني: يَتبَرَّأ مِنه، ويَعْتَقِد بُطلَانَه، فيَتَبَرَّأ مِن الشِّركِ،﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يعني:

يُصَدِّقْ أَنَّ اللهَ مَعبُودُه، وإلهُه الحقّ، ويؤمن بِالشَّريعةِ، وبمحمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ، ويَنْقَاد لِذَلِكَ، هَذَا هُوَ الْمُؤْمِنُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ يعني: اسْتَعْصَمَ ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ وهي: لا إله إلا اللَّه كلمةُ التَّوحِيدِ، يعني: فقد اسْتَمْسَكَ بالعروةِ التي لا انقطاعَ لَهَا؛ بل مَن استمسك بها صادقًا، واستقامَ عَليهَا، وَصَلَ إِلَى الجنَّةِ والكَرَامةِ؛ لأَنَّ لَهَا حُقُوقًا، وهي توحيدُ اللهِ، وطَاعتُه واتِّبَاعُ شَرِيعتِه.

ومحمدٌ ﷺ هو خاتَمُ الأنبياءِ والمرسَلين، وهو رسولُ اللهِ إلى جميعِ أهلِ الأَرضِ، من الجنِّ والإنسِ، فيجبُ عَلى جميعِ الْمُكَلَّفِين طَاعتُه واتِّبَاعُ شَرِيعتِهِ، ولَا يَجُوزُ لأَحَدٍ الخروجُ عنهَا، وجَمِيعُ الشَّرائعِ الْمَاضيَّةِ كُلُّها نُسخَتْ بِشريعتِه عليه الصلاةُ والسلامُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] الآية.

وقال قبلَها سُبحانَه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقَالَ سُبحانَه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ فِي الحديثِ الصَّحِيح: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» أخرجه مسلم فِي صحيحه[(١)].

وَالآيَاتُ والأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وقد أَجْمَعَ أهلُ العلمِ رَحِمَهم اللهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسَعُ أَحَدًا مِن هذِهِ الأُمَّةِ الخُرُوجُ عَلَى شريعةِ

---

(١) من حديث أبي هريرة ﷺ فِي كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته برقم (١٥٣).

مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ، فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبَرَ مُخْرِجًا مِن الْمِلَّةَ، نسأل اللَّه العافية والسلامة.

وَفِي الحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمرِ الإِسلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[1].

فَعَلَى جَمِيعِ المُكَلَّفِين أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ، وَيَعْبُدُوه دونَ كُلِّ مَا سِوَاه، وأنْ يَكفِرُوا بِالطَّاغُوتِ، ويُنْكِرُوا عِبَادتَه، ويَلتَزِمُوا بِالتَّوحِيدِ، واتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ سُبحَانَه وتعالى، وتَعظِيمِ أَمرِه ونَهيِهِ.

((رَأْسُ الأَمْرِ)) يعني: رأسُ الدِّينِ، وهُو الإِسلامُ؛ يعني: شَهَادةُ أنْ لَا إلهَ إِلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّهِ، فَمَن التَزَمَ بِهَا دَخَلَ الإِسْلَامَ.

((وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ)) وهي الركنُ الثاني، وهي أعظمُ الأَركَانِ بعدَ الشَّهَادَتَيْنِ، ثُمَّ يَلِي ذَلكَ الزَّكَاةُ، والصِّيَامُ، والحجُّ، وبقيَّةُ أَوامِرِ اللهِ.

((وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) لأنَّ بِهِ صِيَانةَ الدِّينِ وحمايتَه، وبه دعوةُ النَّاسِ إلى دينِ اللهِ وإلزامُهم بالحقِّ.

فَهُو ذُروةُ سَنَامِهِ، مِن جِهةِ مَا تَضمَّنه مِن حمايةِ الدِّينِ، والدعوةِ إلى الحقِّ، واللهُ أعلمُ.

❀ ❀ ❀

(١) سبق تخريجه.

فهرس الآيات

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

فهرس أطراف الأحاديث والآثار

فهرس الموضوعات

الموضوع صفحة

